

## التداخل النسقي المعرفي بين الوعي بالشعري والوعي بالتاريخي

### في ضوء كتاب (أشعة الأنوار على مرويات الأخبار)

#### للشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني

د. أحمد ياسين السليمانى

كلية الآداب - جامعة صنعاء

تتجلى الأنساق الشعرية في كتاب "أشعة الأنوار على مرويات الأخبار" للشيخ محمد سالم البيحاني دالة على متحولات بارزة، تحيل إلى تداخل معرفي واعٍ للشعري بالتاريخي في فكر البيحاني، يتسم بعيقرية فذة نادرة الحدوث. ينطوي المتحول الأول على أنساق شعرية دالة دلالة عميقة على قدرة فائقة في إحداث تحولات في بنية الوعي بالكتابة الشعرية، يتمثل في أول ملامحه البارزة، في ذلك التنوع في توظيف القوافي في أبيات قصائده، إذ يعتمد في توظيف هذه القوافي على مستوى البيت الواحد، لا على بنية القصيدة الكلية، فقافية صدر البيت تتماثل مع قافية عجزه.

أما البيت الشعري الذي يليه لا يقوم على القافية ذاتها، بل على قافية جديدة تختلف عن ما قبلها وما بعدها، وهكذا دواليك في أبيات القصيدة كلها، بل في كل قصائده التي أطلق عليها منظومة شعرية في هذا الكتاب، ويقابل هذا التنوع تنوع آخر في محور الشعر كذلك، ولكن البيحاني الذي يتمتع بقدرة كتابية غير محدودة في كتابة الشعر أثر هذا التنوع لكي يكسر الرتابة والملل لدى المتلقي، فتقوم الفكرة الواحدة التي يريد توصيلها في سياق البيت الواحد المستقل عن غيره. ففي كل بيت شعري من أبيات القصيدة تتجلى إمكانية شعرية، تختلف عن غيرها في الأبيات الأخرى، وكل بيت تختلف في تركيبه عن غيره.

ولئن انبرت هذه العملية بوصفها تكشف عن ملامح مهمة من شخصية البيحاني الشعرية، فإن المتحول الثاني ينزع نحو استقراء كنه المعرفة التاريخية وتوظيفها في المتون الشعرية. وهي عملية ليست سهلة، فقد سعى خلالها المؤلف إلى إحداث نوع من التداخل النسقي بين الفكرة أو المعرفة التاريخية والمعرفة

الشعرية، يبرز فيه الشعر حاملاً لأحداث التاريخ ووقائعه، في أبعاده المختلفة الزمانية والمكانية والشخصانية. فمن خلال الشعر يتحدث المؤلف عن التاريخ، ومن خلال الحديث عن التاريخ يقول البيهاني شعراً، فيتداخل على هذا النحو، الشعري بالنثري. فالشعر هنا، بوصفه نسقاً معرفياً آخر يكشف عنه النسق الشعري، هذا النسق المعرفي، هو الذي يحمل الفكرة أو مجموعة الأفكار التي تكشف عن أحداث التاريخ ووقائعه وأبعاده الزمانية والمكانية، وشخصياته الفاعلة. وتنطوي هذه العملية على تداخل نسقي واضح بين نسق الشعر، وما يحيل من نسق تاريخي معرفي يكشف عنه النص من خلال القراءة التي يقوم بها المتلقي.

هذا التداخل التي تقصده البيهاني في مؤلفه، يبلور الملكة الإبداعية التي تحلى بها، ويقدمه بوصفة عالماً شديد الاجتهاد بقدر ما هو عميق الإبداع، وأن شكل كتاباته يتجدد مع تجدد فكره وبراعة اكتشافاته لهذا الشكل الذي يتميز به عن غيره ويقدم به نفسه في حلية جديدة، وهو يعد من ناحية أخرى دليل على أن هذا الرجل يحمل فلسفة خاصة به في الكتابة.

وتتفاقم متحولات الوعي المعرفي عند البيهاني في مؤلفه هذا، مع بروز متحول آخر، تشكل فيه هوامش الكتاب أنساقاً وأبنية معرفية، أما أن تكون شارحة أو مفسرة لما جاء في المتون الشعرية، أو إضافة معرفية لها، تنطوي على معلومات تاريخية تفصيلية تشكل انزياحاً معرفياً نثرياً لما هو حاضر في المتن الشعري. فالهامش عند البيهاني لا يقل أهمية عن المتن، بل يتجاوزه في هذه الأهمية في واقع الأمر؛ نتيجة الحشد الهائل من المعلومات التفصيلية التي يحشدتها المؤلف في هوامش الصفحات إلى حد لا نجد معه في بعض الصفحات أي حضور للمتن الشعري، في حين تستهلك الصفحة كاملة بكونها هامشاً مليئاً بالمعلومات التاريخية، فالمتن هو عبارة عن أبياتٍ شعرية فحسب، سعى إلى تكوينه البيهاني بغية تبسيط حفظ أحداث التاريخ ووقائعه، ولسهولة استحضاره شعراً أما الهوامش، فهي تؤكد ما ورد في المتن الشعري من ناحية، وتضيف إلى المتلقي معارف جديدة، فهي تحتل مساحات واسعة من بياض الصفحات وفضاءاتها، وفيها جانب الشرح المفصل للأبيات الشعرية المكتوبة في مطالع الصفحات معلومات تاريخية دقيقة، منها ما هو حاضر في بطون الكتب التاريخية التراثية والمعاصرة، ومنها ما اجتهد الشيخ البيهاني في اقتناصه من مصادر لا تتوفر عند القارئ العادي وغير العادي من الباحثين في قضايا التاريخ وإشكالياته، وإنما تضرد

المؤلف في التنقيب عنها وسبر أغوارها، وتلك هي المغايرة التي أحدثها وتجاوز بها البيحاني غيره، ولعلها الملاحظة التي سوف يقتنصها المتلقي، وهو يقرأ الكتاب، وسيأملها كثيرا.

على أن هذه المغايرة وغيرها من المغايرات مما سبق الإشارة إليها ما يشير إلى تجاوز البيحاني عصره، وزمانه تحديدا وأقرانه، وأكثر الأشياء دلالة على ذلك أن هذا الرجل لم يفهم التاريخ القديم فحسب، أي نصف التاريخ، بل إنه فهم التاريخ كله قديمه وحديثه، يمينا وعربيا وإسلاميا، كما أنه فهمه بوعي، بوصفة بنية كلية متكاملة واحدة دون أي تجزئة أو تشظيات قد تبتتر ماضيه عن حاضره، أو شظي ماضيه بذاته أو حاضره ولا يدهم القارئ لذلك كله، أدنى شك من أن مؤلف الكتاب إنما يشكل موسوعة علمية وتاريخية لا نظير لها إلا في الموسوعات والمصادر التاريخية عند كبار المؤرخين العرب القدامى، وعند نفر قليل من المؤرخين العرب في العصر الحديث، مع فارق أن البيحاني قد تحرى الدقة المنهجية، وامتلئ لشروطها وقواعدها بحرص شديد، مع ما أبداه من تواضع جم في المعرفة، حينما أثار أن يستودع مخزونه المعرفي الذي لا حد له في الهوامش بدلا من المتون، وفي هذا ما يوجي بتواضعه العلمي، ويشيع أهمية خاصة لدور الهوامش عموما، ولهوامشه وما اصطبغت به من علم ثري.

ولعل مجموع هذه الأبعاد، وما امتلك الشيخ البيحاني من إمكانيات شتى في مجال الشعر والعلوم المختلفة، وقدرته الامتناهية في استقراء التاريخي بعمق وسير مجالاته وتحولاته، وإدخالها في مجموعها وكلياتها في عملية إبداعية واحدة، هو ما أدهشني كثيرا، وسيدهش غيري من الباحثين، واغدقني بمشاعر الاعتراف الجدي الصادق بأهمية هذا العالم الجليل، وأخرجني من معرفتي الأسيرة المحدودة السابقة به إلى ضفاف أخرى أكثر مساحة وتجلية، وأجل قدرا لامست شيئا من بعض عبقريته وموسوعيته. إذ ربما تكرس لدى المرء، وهو يتوفى الحديث عن شخصية الشيخ محمد سالم البيحاني، الإمام والخطيب في جامع العسقلاني بعدن، أو وهو يقف على مؤلفاته الدينية في الفقه والشرع، أن محيط هذا الرجل لا يتجاوز العلوم الشرعية، وأن ملامح شخصية لا تتعدى كونه رجل دين فحسب، بيده أنه انبلجت من كنه هذا المتخيل صورة أخرى مغايرة له، بأنه شاعر كبير، ومؤرخ موسوعي من الطراز الأول، انبرت أفكاره الدينية المتنورة التي

تصدت لأهم المسائل الفقيه والشعرية بحصافة وتنور، وكتابه "أستاذ المرأة"<sup>1</sup> بوحى بأشياء كثيرة من ذلك أو خلاصة القول إن البيحاني لم يكن عالم دين فحسب، بل موسوعة معرفية للعلوم الدين والدنيا معا.

هذا التصور الذي تملك البعض، هو الذي أجاز القول عندهم بشخصيته الدينية الرائد وبموسوعيته الفقيه الغنية، وغاب عنهم الالتفات إلى عبقرياته الأخرى في مجال الكتابة الشعرية والتاريخية والموسوعية، وهي مجالات تغرس البيحاني في استقراء سياقاتها، واستنباط تحولاتها، وفي كتابه هذا "أشعة الأنوار على مرويات الأخبار" ما يكشف عن هذا التداخل النسقي والبنائي بين هاتين العبقريتين، وبقدرته الفائقة على إحداث نوع من التلازم أو التداخل القوي بين المتون والهوامش، تلك العملية التي جسدها مؤلفه هذا. وأعجب لعدم دراسة هذا الرجل الدراسة المستوفية، وكيف لم يلتفت إليه من قبل، وهو أحد الأعلام اليمنية والعربية والإسلامية البارزة.

وأحسب أن تلك العلاقة التي أقامها البيحاني في كتابه هذا بين متون الكتاب الشعرية وهوامشه النظرية، وبين المعرفة الإبداعية الشعرية والمعرفة العلمية والتاريخية ما يجسد العلاقة التكوينية بين الشعر والنثر، وبين المعرفة الإبداعية الشعرية والمعرفة العلمية والتاريخية.

### المتون والهوامش:

يتفاوت عدد أبيات المتن الشعرية الواحد في صفحات الكتاب ما بين شطر شعري واحد إلى اثنين أو ثلاثة، وقد يصل في بعض الصفحات إلى ثمانية أشطر أو أبيات شعرية أو إلى إحدى عشر بيتا، وفي بعض الصفحات وهي قليلة جدا لا يوجد بها شعر، وإنما هي امتدادا لما سبقها من الهامش في الصفحة التي قبلها، في حين يقابلها أي هذه المتون الشعرية - أنساق هوامش مقابلة تشرح هذه الأبيات وتفسرها، تتفاوت سعة ما بين ستة أسطر إلى واحد وعشرين سطرا، في كل صفحات الكتابة، تدل على الإمامة اللامتناهي بالتاريخ، وفي كل ما حدث فيه للعرب والمسلمين بعامة، ولليمنيين بصفة خاصة وهذه حقيقة بارزة لا تتداخلها المبالغة، بقدر ما تصور حالة استثنائية، معرفية تجسدت في عقل هذا العالم الكبير، تبدأ محصلتها منذ بدايات الأديان مرورا بحياة العرب وتاريخهم القديم،

<sup>1</sup> كتاب أستاذ المرأة، للشيخ محمد سالم البيحاني، المدنية المنورة، مكتبة الثقافة.



حتى تصل إلى التاريخ العربي والإسلامي الحديث، كل ذلك يجري وفق منظومة علائقية تصل هذه الأزمة جميعاً بعضها ببعض، وفق تسلسل منطقي. يؤسس هذا التداخل النسقي المعرفي بين الشعري والنثري، أو الشعري والتاريخي لأسلوب كتابة التاريخ عبر الأدب، والشعر بخاصة، وهو ما يؤكد دور الأدب أو الشعر تحديداً في كتابة التاريخ، وعبر مصدر من المصادر المهمة لمعرفته، فالشعر العربي القديم الجاهلي قدم عديداً من المعلومات والأدوات والعناصر التي كشفت عن جانب مهم من جوانب التاريخ، ونبه المؤرخين إليها، ولكن البيحاني هنا، قلب هذه المحاولة، فقد حول التاريخ إلى شعر، وليس الشعر إلى تاريخ، ولكنها في الوقت ذاته توصل هذه السياقات الشعرية لبنيات معرفية تتعلق بالتاريخ في كنهها، بالإضافة إلى الأبنية المعرفية الموجودة في الهوامش، تلك التي تؤكد أبعادها بوصفها حضوراً قائماً في المتن من ناحية، فيعوض المؤلف ذلك الغياب المعرفي الذي لم تستوعبه الأبيات الشعرية، والذي لم يتسن له قوله شعرياً فأراد البوح عنه في الهوامش، فالغياب في المتن الشعري يتحول إلى حضور بارز في الهوامش، لكي يشيع المؤلف سياقات معرفية جديدة لدى المتلقي لا يريد أن يحجبها عنه.

### منهج الكتاب:

يقترّب من هنا كتاب الشيخ البيحاني "أشعة الأنوار على مرويات الأخبار" من حيث أسلوبه والمنهج الذي اتبعه في تأليفه من كتاب ألفه أبي مالك، مع الفارق الواضح في أن ابن مالك ألف قواعد النحو شعراً بكونها طريقة لفهم النحو عبر الشعر، أما الشيخ البيحاني، فقد اعتمد الأسلوب نفسه ولكنه هنا كتب التاريخ شعراً لكي يبسط فهمه عبر حفظه شعرياً، كما أنه انفرد بكثرة هوامشه وتعدد معارفه، وشروحه التاريخية.

يقف الشيخ البيحاني في هوامشه على دقائق الأحداث، لا تغيب عنه شارة أو واردة، وتدرك أنه بحر من المعلومات والمعارف لا يضاف له، يذهلك بها إلى حد يكفيك معه قراءة هذا الكتاب وحده للإلمام بالتاريخ القديم والوسيط والحديث معاً، وللعثور على كنز من المعلومات، وهذا الأمر ثابت في الكتاب لا تعثره المبالغة، ولا تحيد عن الحقيقة، بل إنها الحقيقة الماثلة لأعين المتلقي.

ويتسم عمل الشيخ البيحاني هذا بالمنهجية العلمية التي اعتمدها أسلوباً ناجحاً في تأليف كتابه، فلقد اتبع المنهج التاريخي في تأليف كتابه وتحري

الدقة، والتماسك المنطقي المتسلسل لأحداث دون خلط أو ارتباك، وفي الحديث عن الشخصيات التي أثرت في التاريخ، ولعبت دوراً مهماً فيه، وأسهمت في إحداث متغيرات مهمة في وقائعه وتبدو اللغة فيه واضحة البيان، وسلسة ويسرة الفهم كما أن أفكار الكتاب مرتبة ترتيباً متناسقاً في المتون الهوامش، ينقلك المؤلف من فكرة إلى أخرى بيسر دون تعقيد، يحفزك إلى مزيد منها، ويتوأم الحديث في الهوامش مع تنصيحات المتن، وكذلك ما بين كل هامش وهامش، ولا نعدم هذا الترتيب في كل فقرة من فقرات الهامش الواحد مع غيرها من الفقرات، حتى لتشعر أنك إمام أكاديمي تدرس أساليب البحث العلمي الراقي، وأفاد من أكبر جامعات العالم، والحقيقة أن منهج البحث لديه يعد من أرقى أساليب الكتابة والبحث العلمي.

وعلى الرغم من هذا الحشد الهائل للمعلومات التاريخية، فقد استطاع البيحاني أن يحدث تناسقاً في موضوعاته، ودقة في اللغة والأسلوب يجعل القارئ يقف أمام أكاديمي من الطراز الأول، فهو يتبع قواعد البحث العلمي وشروطه بدقة متناهية، يتفوق بها على كثير من أقرانه وعلى كثير من الباحثين الجامعيين. ونشهد هذا التناسق والتماسك حتى في عرض المعلومة وسياق تركيبها وكتابتها وعرضها، متحمساً بقوة إلى عرض هذه المعلومة على المتلقي، وتلك هي شخصيته التي لا تحجب المعرفة عن غيرها، فنشعر أنه يرغب في تزويدك بكل ما يمتلك من معرفة.

### مكونات الكتاب وأهم موضوعاته :

يتكون كتاب "أشعة الأنوار على مرويات الأخبار" وهو مجلد كبير، من جزئين، يقع الجزء الأول في (398) صفحة من الورق الكبير، يتناول فيه الشيخ المؤرخ الكبير والشاعر محمد سالم البيحاني في هذا الجزء التاريخ العربي القديم منذ بداية ظهور الديانات السماوية وعصر الجاهلية حتى نهاية العصر العباسي، ونهج في هذا التقسيم بحسب التقسيم السياسية والديني التي أتت بها النظرية المدرسية، وعلى رأسها حسن توفيق العدل الذي يعد أول من عنى بالتاريخ الأدبي في صورته الجديدة، وأول من صاغ نظرية تقسيم العصور في شكلها الأول الذي لم تكد تحيد عنه، فاستن هذه السنة في دراسة الأدب العربي<sup>1</sup>

<sup>1</sup> شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، بيروت دار العلم لعل بين ط 5، 1982م، ص20.

ولم يختلف عنه محمد حسن نائل المرصفي ( 1908 ) وعبدالله دراز وكيل مشيخة الجامع الأحمدى (1910) أو أحمد الأسكندري، وأحمد حسن الزيات، وكلهم قسموا تاريخ الأدب العربي على هذا النحو التي التزمت به النظرية المدرسية وفقا للظروف التاريخية السياسية والدينية، ويستثنى من هذا التقسيم ذلك القسم الذي بدأ به البيحاني كتابه وتحدث فيه عن الرسل والأديان، وذلك القسم الذي جاء بعنوان العرب قبل الإسلام، وفيه كلام عن أصل العرب منذ عاد وثمود، وطسم وجد يس وما تلى ذلك الزمن، ينتقل بعده إلى عصر الجاهلية، الجاهلية المعروف لدى الدراسين ، وبحسب التقسيم السابق.

تناول البيحاني في هذا الجزء تاريخ العرب إلى جانب ما أشرنا إليه تاريخ عصر صدر الإسلام، وفيه ذكر للنبي محمد ﷺ ونشأته وزوجاته، وبعثته وهجرته وما جاء به من تشريعات، وما قام به من جهاد وغزوات للمسلمين، ومكاتبات الملوك والأمراء، وفتح مكة، ثم مرضه صلى الله عليه وسلم، وكلاماً عن أسرته وعماله في المناطق، وكل ذلك جرى وفقاً للقراءة التاريخية، ودرسها دراسة من حيث هي أحداث ووقائع تاريخية، ثم قام بسرد تاريخ الخلفاء الراشدين، وهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وتتابع فتوحاته، وفتح الشام ومصر، ثم خلافة عثمان بن عفان وأعماله في خلافته، وخلافة علي بن أبي طالب، وأعماله في خلافته، رضي الله عنهم ولا ينسى البيحاني إشكالياتين بارزتين في التاريخ العربي الإسلامي وهي موقعة الجمل أو وقعة الجمل كما أطلق عليها البيحاني، ووقعة صفين، ويتدرج المؤلف بعد ذلك إلى خلافة بني أمية، وعهد بني أمية في الشرق والغرب، وأعمال معاوية وفتوحاته، وخلافة ابنه من بعده يزيد بن معاوية وخلافة ابن الزبير وأل مروان، ومنهم عبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، والوليد بن يزيد، وخلافة إبراهيم بن الوليد ومروان بن محمد، وتحدث عن خلاصة الحال في عهد بني أمية، وحال بني أمية في الأندلس. ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف تاريخ بني العباس، أي العصر العباسي وتحديداً منذ خلافة أبي جعفر المنصور، وخلافة محمد المهدي، وموسى الهادي، وهارون الرشيد وعلاقة الرشيد بالدول الأجنبية، ثم نكبة البرامكة. ولم يفضل الحديث عن شخصية الرشيد وأهل بيته، وخلافة محمد الأمين. كل هذه الموضوعات التي تختزل التاريخ العربي الإسلامي، قدمها البيحاني في سياقات شعرية أولاً في مطالع صفحات الجزء الأول من الكتاب، وهي أشبه ما تكون بألفية شعرية

للتاريخ، وهو ما جرى في الجزء الثاني من الكتاب كذلك والحقيقة أنه ليس من السهل القيام بهذا العمل الكبير، وإن كان هذا الأسلوب أو هذه الطريقة الذي سلكها تعد إحدى اختراعاته، ويحسب له السبق في ممارستها، وأظن أن عيني لم تقع على اجتهاد أحد غيره قديماً أو حديثاً خاض في هذه التجربة الشعرية، التي ارتادت عوالم التاريخ المختلفة، وربما تناوس هذا الأمر مع أمر آخر يشير إلى قدرات هذا الشيخ الجليل غير المحدودة في معرفة الشعر معرفة قوية وتوظيفه لاستنطاق التاريخ.

ويزداد إحساس القارئ بعظمة هذا العمل، وعبقرية مؤلفه، حينما يدرك مقروء الجزء الثاني منه، فيتسع إدراكنا لحجم المعرفة التاريخية لدى هذا العالم، وهو يخوض غمار التاريخ العربي والإسلامي، والتاريخ اليمني والوسيط بكل تفاصيله شعراً بالطبع إلى جانب الهوامش النثرية، بداية من دولة بني زياد ومواليهم، ودولة آل نجاح، والدولة المعاصرة في ذلك الزمن الزيدية، بنو معن، بنو زريع، متحدثاً كذلك عن ملوك آخرين ودولة بني مهدي ودولة الصليحيين، ودولة بني أيوب ومنهم رطوران شاة" وخالصة من تاريخ حضريون ودولة أخرى، ودولة بني رسول الغساني، ودولة بني طاهر).

وبقية من تاريخهم، ومن علماء وعباد وأئمة ورواة في اليمن، وكذلك فقهاء الشافعية والمالكية والحنفية في اليمن، وكتب وتراجم، والدولة العثمانية، واختلاف أهل السنة والشيعة في العراق.

ولم يغفل الشيخ البيحاني ذكر الحروب الصليبية، والأتراك واليهود، والحروب مع المسيحيين، وتاريخ تركيا من مراد الأول إلى مراد الثاني كما تكلم عن محمد الفاتح وولده بايزيد، وفتح القسطنطينية، وعن سليم الأول، وسليمان باشا القانون وغازية البلاد المجرد وعن الخلفاء العثمانيين بعد سليمان القانوني، وختم حديثه عن الأتراك بالحديث عن محمد الثالث وأبنائه.

ينبني التاريخ لدى الشيخ البيحاني بوصفه عملية ممتدة من الماضي إلى الحاضر، فإذا كان الماضي قد تم استقراءه من كتب التاريخ السابقة لعهد المؤلف فإنه قد كان مؤرخاً كاتباً للتاريخ الذي عاصره أو كان قريب عهد به. فقد واصل عطائه بالحديث عن تاريخ اليمن ومصر، والسعودية والكويت، فاختر قدرته وإمكاناته في الحديث عن تاريخ هذه الدول منفردة في أدق تفاصيلها. فقد أرخ لمصر منذ عهد الملك صلاح الدين الأيوبي، وحرية ضد الصليبيين، وعن شجرة الدر، والملك الصالح نجم الدين، والظاهر بيبرس، والمنصور بن قلاوون،



وعن الفرنسيين ونابليون في مصر "وقبلهم المماليك" ثم ينتقل إلى أسرة محمد علي في مصر ومن خلفه من الخديويات، منهم إسماعيل، ومحمد توفيق وحادثه د. نشواي، وبعد ذلك عباس حلمي وفؤاد الأول، والأحزاب ورجال السياسة في مصر منهم مصطفى النحاس.

وأخذت فلسطين حيزاً من كتاباته، وكذلك الكيان الصهيوني ودولته المزعومة، وأسباب الثورات المصرية، ومصر واليمن بعد الثورات، ولاقت السعودية نصيبها من هذه الكتابات، فقد سرد لنا البيحاني تاريخ السعودية وظهور الدعوة الإصلاحية في نجد، ونشأة الدولة السعودية، والحرب بين السعوديين والمصريين، والملك سعود بن عبد العزيز، وموضوع عمارة الحرمين الشريفين، وفيه تفاصيل البناء فيه، وكانت الكويت من الدول التي أرح لها البيحاني في مجلده هذا منذ آل الصباح، وصباح الأول، وصباح الجابر، ومبارك الصباح وأولاده. ثم اختتم الكتاب بعرض لتاريخ آل حميد الدين في اليمن ودخول الإنجليز إلى عدن، ومقدمات استعمار عدن من قبلهم.

توحي لنا هذه المكونات في الكتاب إلى أن المؤلف ألف في حقيقة الأمر كتابين، الكتاب الأول خاصاً بالشعر، وهو الذي جاء في متون المجلد، وألف كتاباً آخر نثرياً، وهو الذي ورد في هوامشه. وهذان الكتابان يوجزان التاريخ، فعدد الأبيات الشعرية للموضوع الواحد يتراوح ما بين الخمسة عشر بيتاً أو ثلاثة وثلاثون بيتاً، يوجز فيها الموضوع الذي يتناوله ويبلغ عدد الأبيات جميعاً في المجلد حوالي أربعة آلاف وثلاثمائة (4300) بيتاً شعرياً، كتبها البيحاني في عام 1382هـ وكان يوم ذاك في أديس أبابا، وفرغ من كتابتها عام 1375هـ أي أنه أمضى سبعة سنوات في تأليف هذا الكتاب.

### مقاربات نصية بين المتون والهوامش:

يبدأ الشيخ البيحاني مؤلفة بخطبة الكتاب، في متن الصفحة 9 وفيها أي في هذه الأبيات يصور موقفه من تأليف الكتاب، ويبلور نهج تأليفه له، وكتابته للتاريخ وروايته، ويؤكد قصده في خلق جيل من العلماء الصغار، وهو دليل قوة هذا الكتاب وغنائه، كما أنه وصفه بمنظومة تهتم بالإسلام، فيها ذكر للإعلام البارزة والدول وملوك، وما جرى لها في الأزمان، ويقر أنه سمى هذا المؤلف بـ "أشعة الأنوار" بناءً، على المروييات من الأخبار، آملاً أن يكون نافعا لمن يقرأه،

التداخل النسقي المعرفي بين الوعي بالشعري والوعي بالتاريخي ..... د. أحمد السليمانى

ويؤكد أنه استقى معلوماته التاريخية من كتب الدين والأدب أو عبر الرواية المتواترة. وعلى لسانه بصيغة راوٍ آخر في مستهل الكتاب يقول<sup>1</sup> :

يقول راجي رحمة المنان محمد بن سالم البيحاني  
الحمد لله الذي يعلم ما في الأرض والسماء أو مثلهما  
سبحانه علمنا بالقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم  
وفي كتابه المبين الشافي قصى بملنا، خير السلاف  
وقص ما كان وما يكون فما رأت أو لم تر العيون  
وصل يا رب على خير البشر (13) محمد أصدق من يروي الخبر  
والآل والأصحاب والأتباع من قارئ وكاتب وواعي  
وبعد فالتاريخ علم ما كتسب من كتب الدين ومن كتب الأدب  
أو من رواية عن الأجداد ينقلها الأبناء للأحفاد  
وبعضه يعرف من نقش الحجر فأسأل ظفار وأسألني حصن الهجر  
ونحن لا نجمع منه غير ما لا بد منه لصغار العلماء  
أو للتلاميذ وهم في المدرسة وهال منه خيره وأنفسه  
منظومة تهتم بالإسلام وذكر بعض السادة الأعلام  
من دولة وملك ساطع وعالم منا طویل الباع  
وبالأخص بعض أخبار اليمن وما جرى فيها على طول الزمان

<sup>1</sup> انظر. صفحات الكتاب - الجزء الأول ، ص 9-22.

سميتها أشعة الأنوار على الذي يروي من الأخبار  
والله أرجو أن يكون نظمي مسهلاً لحفظه والفهم  
وأنه يكون نافعا مقبولا يدرك منه الطالب المأمولا

هذا النص الشعري بدأ به البيحاني كتابه، أو هي أولى أقواله الشعرية في الصفحات من 9 على 22، يحيلنا فيه إلى بعض العلامات إلى الهامش على النحو الذي نجده في مفتحه بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم)، هذا الهامش يتشكل نصا مقابلا لعبارة البسمة، فهو يقول في الهامش (1)، الكلام على البسمة عند أهل الفنون المختلفة مشهود، كل بحسب ما هو فيه، وهي من الكلمات المتبرك بها قديما وحديثا. وقال نوح عليه السلام لأصحاب السفينة، أركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها، وفي كتاب سلميان عليه السلام إلى الملكة بلقيس (بسم الله الرحمن أنه لا تعلق علي وأتوني مسلمين). ويقول نبي الإسلام ﷺ كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبت، والله نسأل أن يكون ما بعدها نافعا مباركا،<sup>1</sup> انظر كيف زودنا الشيخ البيحاني بآيات عديدة في الهامش الذي أحالتنا عبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) إليه وتظهر شخصية البيحاني كذلك بوصفه عالما في اللغة، حينما يقف على بعض المفردات مثل كلمة المنان، في مطلع قوله الشعري فيقول عنها (المنان صيغة مبالغة يمن، وهو الذي يعطي بغير سؤال ولا منة لأحد إلا منته تعالى على خلقه) (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ)<sup>2</sup>. تأمل كيف يمتعنا المؤلف بمعلومات غنية في الهامش، يتحول الهامش إلى نص مقابل للنص الشعري في المتن.

وليست المعرفة الدينية وحدها التي يقدمها البيحاني للقارئ في الهامش، بل إنه غزير المعرفة المجالات الأخرى، ومنها مثلا أنه حينما يحيلنا في بيته الشعري سميتها أشعة الأنوار على الذي يروي من الأخبار

ويقصد به مؤلفه هذا، وأنه، ستبقى معلوماته التاريخية مما يروي من الأخبار، يكشف لنا في هذا الهامش عن معرفته بمصادر التاريخ، تلك التي

<sup>1</sup> ص 4، 11، ص 5، 12 من الكتاب نفسه.

<sup>2</sup> انظر ص 9 من الكتاب نفسه.

يعرفها الباحثون اليمنيون، بل يزيد عنها حينما يقدم للقارئ شواهد عدة للدلالة على فهمه العميق، فيقول مثلاً، (مصادر التاريخ ثلاثة، وهي أولاً الكتب الدينية القرآن، والتوراة، وغيرها، وكتب الأدب التي تنقل عنها سابقاً ولا حقاً كداووين الشعراء والمعلقات السبع، وما سجل المؤرخون من أخبار والجاهلية وأيام العرب، وغارات بعضهم على بعض ثم الفتوحات الإسلامية وما كان معها وبعدها من الحضارة والمدنية في صعود وهبوط تحكم بهما الوحدة، أو تفرق الكلمة، ثانياً رواية الأباء للبنين والأستاذة للطلاب نقلاً عن الأجداد والمشايخ السابقين، ثالثاً الآثار المترجمة عن أصول الماضي وما كان لأهله من العادات والتقاليد، وتلك هي الحصون والقلاع والسلاح، والمعابد والمقابر وما بقي بعدهم من الريش والأثاث قبل الذي يوجد في ظفار عاصمة الحميريين...<sup>1</sup>، وهذا الهامش طويل، وورد في صفحتين وفيهما يشرح كلمة التلميذ التي لا يحصرها بالمفهوم العادي "طالب" المدرسة، بل يشرحها بالمشتغل بالجمع والتحصيل من هذا العلم أو غيره من علوم الدين والفقه. ولا تعزب عن البيحاني المعرفة اللغوية، فهو عالم لغة كذلك، إذا يشرح عبارة (خير وأنفسه، التي وردت في أبياته السابقة بقوله) وخير الشيء وأنفسه بمعنى واحد، وهو الحيد المستملح، وعن كلمة منظومة لقولة (منظومة بالنصب بدلاً من كلمة خير المنصوبة على المفعولية، وهي الأبيات المجموعة في شيء واحد أو أشياء متفرقة). وهكذا يشرح عديداً من الكلمات والعبارات شرحاً وافياً في الهامش، الذي يتحول إلى نص معرفي بالتاريخي في مقابل المعرفي التاريخية الموجودة في النص الشعري. وهكذا نجده يشرح كلمات عدة منها تاريخ الأمم كعاد، وشمود، وياجوج، وماجوج، وكلمة الصلاة، و"البشر" آدم وذريته، (وهو جنس يطلق على الواحد والجمع والمذكر والأنثى). وكلمة الأهل بمعنى الأهل الرها، والعشيرة، ولا يضاف إلا إلى العظيم الكريم أو الشرير اللئيم...<sup>2</sup>.

يلخص الشيخ البيحاني في أول موضوع تاريخي تناوله شعراً، موضوع الرسل والأديان، متحدثاً عنهم، ولكنه في مطلع هذه الأبيات يصور حين يخص المولى عز وجل ببعض الأفراد من أجل أن ينقدوا الناس من الضلال، ويصور الأنبياء، في شعورهم وأحاسيسهم وقلوبهم وكلامهم، ثم يشرح كلمة الرسل في الهامش،

<sup>1</sup> نفسه ، ص 11.

<sup>2</sup> نفسه ، ص 10.



ويغدق على القارئ بكثير من التوضيحات والشروحات، فهو يقول في أبياته الشعرية.

سبحان من يخلص بالرسالة من ينقذ الناس من الضلالة  
والأنبياء هم أجل الناس في دقة الشعور والإحساس  
قلوبهم فياضة بالرحمة وفي كلامهم نصوص الحكمة (1)  
ويقول عن الرسل وعن الديانات:  
وأفضل الرسل أولو العزم وهم  
محمد نوح وإبراهيم  
وإنما المعروف من أديانهم  
وهي اليهودية دين موسى  
وخيرها الإسلام وهو الباقي  
في سورة الأحزاب جاء ذكرهم  
والسيد المسيح والكليم  
ثلاثة قد عززت من شأنهم  
ثم المسيحية دين عيسى  
في سائر الجهات والآفاق (2)

ويتبع هذه الأبيات، بأبيات يتحدث فيها عن اليهودية والمسيحية، ولكنه في الهامش، يحدث القارئ بشيء من التفصيل عن معنى الرسل، والأنبياء، وعددهم، وهي معلومات قد لا تتوفر في أهم الكتب التاريخية، ويدخل في تفسيره التاريخي اللغوي بالعربي، فحينما يعرف معنى الرسل والرسول يقول: والرسل ثلاثمائة وبضعة عشرة ومن الأنبياء أكثر من مائة ألف، وهي معلومات جديدة مضافة، ويعرف كلمة الدين، وغيرها من الكلمات مثل، أولو العزم، في اللغة (وهو الجد من الأمور وقوة البث فيها من رسل الله هم المذكورون في آية الأحزاب). ثم يدل على ذلك آيات قرآنية، وينقل للقارئ معلومات عن الأديان كثيرة جداً، لا يسع المقام هنا لذكرها كلها، حتى كلمة، (الخابام) يشرحها، ويفرق بينها وبين كلمة الأخبار، وفي ذلك ما يؤكد معرفته، فيقول (الخابام) وهو كبير اليهود ورئيسهم الديني، والأخبار جمع حبر بفتح الحاء وكسرهما هو العالم سواء منهم أو من غيرهم ..).

ويمكن أن نلاحظ أن الهوامش تحتل مساحة واسعة من الصفحة من جانب وعلى مستوى صفحات الكتاب عموماً من جانب آخر، وتقوم بدور الشرح والتفسير والتحليل والاستقراء والاستنباط، فالبيحاني مثلاً حينما يتحدث عن

اليهود لا يكتفى بذكرهم، بل يتحدث عنهم بوصفهم بنية معرفية كلية واسعة، تتكون من مجموعة من الأنساق، فهو يتحدث عن تاريخهم وأماكن وجودهم وحياتهم منذ بداية تكونهم إلى وجودهم الحديث في بقاع العالم، ووجودهم في اليمن، مؤرخاً لأسماء تواجدهم منذ بابل القديم وحتى صنعاء، ووجودهم في سوريا وفلسطين ومصر وأهم علمائهم ومؤرخيهم.

يتحدث البيهاني في موضوع آخر عن تاريخ العرب قبل الإسلام، مستعملاً كلمة (يقال) في بداية الفقرة منذ عاد وثمرود وطسم و... وغيرهم من الأقوام، معتمداً على مرويات وأخبار وردت في القرآن وفي آثارهم، وعلاقتهم بسيدنا إسماعيل، ويسرد قصة سيدنا إبراهيم وبئر زمزم وزوجته هاجر، وما تفرع بعد ذلك من العرب، وهم العدنانيون والقحطانيون، وهو يروي بداية هذا التاريخ ومحولاته عبر أبيات الشعرية.

يقال إن أمماً من العرب	قد ذهب وشأنها فيمن ذهب
عاد ثمود طسم جريس	وأخرون ما لم أحاسيس
وربما يقال عرب بأئدة	وما لنا في ذكرهم فائدة
كلا فما نحما يوجد من آثارهم	وما روي القرآن من أخبارهم
يعطيك عنهم صورة لتعتبر	وذكرهم جاء فهل من منكر
وأهلك عاد بريح عاتية	ثم ثمود بعدها بالطاغية
والملك الأحمق حين استعلى	أهلك خمسا وجديساً قتلاً
وجرهم سلطانها والمملكة	قد صناع منها بضياع مكة
سدانة الكعبة قد كانت لهم	من عهد إسماعيل إذ صاهرهم
أسكنه أبوه إبراهيم	أم القرى وما بها مقيم
والله قد أكرمه بزمزماً	وقبلت هاجر سكنى جرهما
وحين شب صاهرها الجيرانا	ومنه بوركت بنو عدنان
أياد أنمار ربيعة الغرر	وخيرهم كان أخوهم مضر
لأنه الأصل الذي تنتسب	إليه أبناء قريش النجب

وفي بني قحطان سكان اليمن من ملك الدنيا ومن ومن ومن

لا يكتفى البيهاني بإعطاء القارئ هذا السرد الشفاف لحقبة تاريخية من تاريخ العرب القديم، ولكنه يسعى جاهداً لتوضيح أكثر لما هو موضح في الأساس في النص الشعري، فيعاضده بنصٍ ثري آخر في الهامش، فيه دقائق الأمور، وتفصيل تاريخية أخذت حيزاً كبيراً من الصفحات، ففي أول هامش له في أبياته الشعرية التي قالها في العرب قبل الإسلام، نقل هذا النص (ينقسم العرب إلى ثلاثة أقسام عرب بائدة وعرب عاربة وعرب مستعربة، فالعرب البائدة عاد، ثمود وطسم وجديس وجرهم وعبيد وأميم والعمالقة، والعارية هم، الموجودين من العدنانيون والقحطانيون، والمستعربة هم الذين تكلموا العربية واختلطوا بأبنائها وتجنسوا بها من الأمم، والشعوب الأخرى، وقد أشار القرآن إلى بعض تلك الأمم العربية التي بادت وباد أمرها، وكثيراً ما يذكر أمر عاد وثمود في سورة الأعراف وهود والشعراء وفصلت والأحقاب والقمر والحاقة والفجر وفي سورة مكية أخرى<sup>1</sup>). ويورد البيهاني أخبارهم ومساكنهم وقبائلهم ونسبهم وكل ما يتعلق بهم.

حتى العماليق حينما يذكرهم يعرف أماكن سكنهم المتعددة، فهو يقول (طسم وجديس بلاد اليمامة وما حولها ويقال لقصبة ملكهم القرية وبعض العماليق يسكن الحرم ويسكن بعض الشام أما أمرهم فقد اتسع وامتد سلطانهم وتفرقوا في البلاد، وسكن أخوهم أميم بن لاوذ بلاد فارس<sup>2</sup>)، وكثير من الكلام حول العرب في تلك الحقبة يقوله البيهاني، ولا يغيب عنه شيء منها.

ولئن كان تاريخ اليمن يشكل جزءاً لا يتجزأ من تاريخ العرب، فإن المؤلف يدخل هذا التاريخ في أنساق مع تفاعل مع الأنساق التاريخية للعرب جميعاً، فيقول عن أقبالهم وحصونهم وقصورهم وسدهم المشهود، وعن بلقيس وسليمان وحمير، وخطوط كتاباتهم في الآتي<sup>3</sup> :  
وممنهم الأقتال والتتابعه - بناء صنعاء والحصون المانعة

كقصر غمدان وما غمدان هدممة سيدنا عثمان

<sup>1</sup> ص 22.

<sup>2</sup> ص - .

<sup>3</sup> ص 25، 26، 27.

وهم بناء سد مأرب وقد أخبرنا بأمره الفرد الصمد  
ومنهم الملووك آل حمير وعمهم كهلان غير منكر  
وملكت من بعدهم بلقيس وكان في أملاكها النضيس  
وعرشها طلبة سليمان وقد رأى فيه عجائب الزمان  
وحمير خطوطها معروفة بأنها غير خطوط الكوفة  
وعندهم في لهجة الكلام نمرا به كالخط بالأقلام

ويلاحظ أن البيحاني لا يجعل كل هوامشه نثرا، إذ يحرص بمقتضى الحال أن يضمن الهامش أبياتا شعرية أحيانا، وليس في كل الهوامش، كحاله في الهامش ص 62، وهو يشير إلى قصر غمدان الذي بناه الأشج بن يحصب، فيذكر في هذا المقال أبياتا ل (دعبل ابن علي الخزاعي)، في قصيدة له ومنها:  
منازل الحي من غمدان فالنضد فمأرب فظفار الملك فالجند<sup>1</sup>

أو كمثله هوامش صفحة 28، التي قدم فيها أبياتا شعرية وغيرها من الهوامش وفي هذا الهامش ما يشير إلى أن البيحاني عالم في فقه اللغة، وإذا يؤكد أن من الكلمات الحميرية (تب) بمعنى قم، وهم يبدلون تاء المتكلم والمخاطب بالكاف كقول الشاعر:

بنوك غمدان وأسسسه عشرين سقفا بمنهمتي<sup>2</sup>

ويتم حتى في لفظ الكلمات بطريقة صحيحة، كقوله تلفظ كلمة مدينة صرواح، بكسر أوله، إلى جانب شرحه لقصر صرواح القريب من مأرب، وربما ما يلفت الانتباه قوله (شعراء القحطانيين أكثر عددا من شعراء العدنانيين، وإن كان قد برز من بني إسماعيل في الشعر من لا يشق له غبار في الجاهلية، ولكن عددهم كان أقل من عدد القحطانيين وفي الإسلام على العكس من ذلك)، وإذا

<sup>1</sup> انظر الكتاب ص 26.

<sup>2</sup> نفسه، ص 28.



كان هذا الكلام يعدّ جديداً، فهو قول مهم جداً بالنسبة لدراسة الأدب الجاهلي عموماً، ولدارسيه، وهو استقصاء يثير الإعجاب، ويؤكد موسعة هذا الرجل. ويلاحظ أنه حينما يتحدث عن اليمن مثلاً في الهامش، لا يترك شيئاً إلا ويذكره، فهو يتحدث عن السيل العرم الذي بسببه أنهار سد مأرب، ويقول (واختلف المؤرخون في أول من بنى هذا السد، فقليل لقمان بن عاد، وقيل ملوك حمير، مثل عمرو مزيقيا، وهو الذي تضرق بنوه في جنوب الجزيرة وشمالها بعد سيل العرم).<sup>1</sup> إلى ذلك يشير المثال العربي المشهور: تفرقوا أيدي سبأ، ويقول "وأخبار السد طويلة.. وكيف تخرب، حقق ذلك الهمداني في الإكليل ثم المستشرقون الذين كتبوا عن اليمن وأثارها، فراجع كتاب ملوك العرب قبل الإسلام لجرجي زايدان والله أعلم<sup>2</sup>. فأنت ترى أن هذا الرجل يلم بكل أحداث التاريخ ووقائعها، وأزميتها.

وتبدو الصراحة والمصادقية من أهم عناصر كتابته، وأن عنصر النقد لدية يقوم على الحجة العلمية لا على أساس التهكم، كما تبدو حجته أكثر اتزاناً وموضوعية، تنتمي إلى العلم لا إلى الهوى، وأفكاره عموماً تقوم على بنية معرفية كلية، كمثال ذكر للخطوط التي كانت حمير تستعملها، وهي غير خطوط الكوفة، وغبابة كلامهم كغبابة خطهم في أبياته الشعرية في المتن، فهو يقول في الهامش حول موضوع الكتابة واللهجة اليمنية القديمة يقول البيهاني، (كانت الكتابة غير معروفة في الحجاز إلى ما قبل الإسلام بنحو: مائة سنة، وجاء الإسلام وليس بمكة من يعرف الكتابة إلا نحو بضعة عشر رجلاً، أما العرب المجاورون للفرس والرومان، والحميريين في اليمن والأنباط في شمال الجزيرة، فالكتابة عندهم معروفة منذ القدم، ويقال إن أول ما ظهرت الكتابة العربية في بني ضخم ابن لاوذ، ومن الكتابات القديمة كتابة الأنباط المتولد عنها خط النسخ والكتابة السريانية المتولد عنها الخط الكوفي والكتابة الحميرية معروفة بأصلها وشكلها إلى اليوم، وما تزال موجودة في كثير من الآثار اليمنية، وفي لهجتهم الكلامية غرابية بعيدة حتى يعدهم بعض الأغبياء غير عرب لما يجدون من كلمات في لغتهم مخالفة للغة الحجازيين، وربما يستدل هذا القائل بقول أبي عمرو بن العلاء حين زار اليمن، وقال في اليمن قول كلامهم غير كلامنا

<sup>1</sup> نفسه، ص 26.

<sup>2</sup> نفسه، ص 26 ، 27.

ولهجتهم غير لهجتنا، ومسلم به أن اللهجات تختلف باختلاف الأقاليم والجهات للأمة الواحدة، وذات اللغة الواحدة).<sup>1</sup>

يتبين من هنا، أن البيحاني يعتمد على تداخل متفاعل بين نسقين، النسق الشعري والنسق النثري ويدخلهما في منظومة واحدة، لا يستطيع في رأيه استغناء أحدهما عن الآخر، هذه الأنساق عند ما تجتمع على شكل مجموعات مترابطة، تشكل بالضرورة أبنية معرفية شعرية مثلاً تقابل، ابنيه، أخرى نثرية وشعرية تكون حاضرة في الهامش.

ولقد تعددت اهتماماته اللغوية، فهو حين يشير إلى لهجة حمير يقول عن لفظهم (بهمتي). إنهم يبدلون لام التعريف بالميم، كما في حديث ليس أم برام صيام في أم سفر<sup>2</sup>، وأحياناً يعود ببعض المفردات إلى معناها اللغوي، مثل كلمة العاشوراء يقول عنها، هي الناقة التي لا تبصر أمامها، تأنيث أعشاء، وفي المثل فلان يخبط خبط عشواء إذا سار في الأمر على غير هدى، والجدوى في العطية أو المنفعة..<sup>3</sup> وفي هامش آخر يشرح البيحاني عبارة، (بلغ السيل الزبى) فيقول: الزبى جمع زبية، وهي الرايية المرتفعة من الأرض، وإذا بلغها السيل كان جارفاً، والعرب تقول إذا اشتد الأمر بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين، والطبيان تثنية طبي وهو حلمة الثدي<sup>4</sup>، وتلك هي نماذج من بين عشرات الأمثلة التي يسوقها لنا البيحاني، وتظهر من خلالها شخصيته اللغوية؛ بكونه عالماً في مجال فقه اللغة، وعلم اللغة، وحين يذكر بعض أيام العرب وحروبها، فإنه لا يوقفك عند تلك الحروب المشهورة مثل حرب البسوس، وداحس، والغبراء، بل يضيف إليك حروباً أخرى مثل يوم حليلة، وأيام الفجار، ويوم الررحان، ويوم البيداء، ويوم شقيقة وغير هذه أيام كثيرة وأشهرها يوم ذي قار، وكان لبني شيبان على الفرس أيام كسرى أبرويز وهو أول نصر تنتصر فيه العرب على العجم، وعده المؤرخون من طلائع البشائر لنبوّة محمد ﷺ وما وقع بعد ذلك من الفتوحات<sup>5</sup> ويذكر المؤلف في هامش آخر معنى كلمة البتول ويقول "البتول: المنقطع أو المنقطعة للعبادة.. والمراد به العفيفة الطاهرة"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> انظر ص 27.

<sup>2</sup> انظر ص 28.

<sup>3</sup> انظر ص 34.

<sup>4</sup> انظر ص 56.

<sup>5</sup> ص 38.

<sup>6</sup> ص 153.

وربما كان من المفيد أن نعرض لبعض الأبيات الشعرية التي تحمل في سياقاتها سرداً تاريخياً لأزمة مختلفة تؤكد على مذهب الكتاب إليه، وعلى الطريقة التي اتبعها البيهاني في كتابه، لكي نعطي صورة مصغرة لصورة أكبر يمكن العودة إليها في الكتاب فمثلاً يقول عن أبي بكر الصديق

أحق أهل الأرض بالخلافة بعد النبي ابن أبي قحافة  
سيدنا الصديق عبد الله خير إمام أمر وناهي

تمت له البيعة في السقيفة في حالة طلعتها مخيفة  
كان يرى الأنصار أن الأمرا فيهم وأنهم بهذا أحرى<sup>1</sup>

ويقول عن خلافة بني أمية:

كان أمية بن عبد شمس سيد قومه كبير النفس  
أولاده عشرة يالك من عشرة صغيرهم مثل اللسن

فمن أبي العاص أتى عثمان فجده حرب عظيم الشأن  
أما أمير المؤمنين الثاني منه أيضاً قد أتى مروان

قد أسس الدولة في أمية مستحقاً زياد من سمية<sup>2</sup>  
وعن دولة بني العباس يقول:

هذا هو العباس جد الخلفاء عم النبي الهاشمي المصطفى  
أولاده عشرة والبحر في العلم منهم الإمام الحبر

الترجمان لكتاب الله والحافظ السنة عبد الله  
أبو علي وعلي من بنيه محمد وهو الذي بورك فيه

<sup>1</sup> ص 165.

<sup>2</sup> ص 149.

مؤسس الدولة والحكومة في أهله يعد بني العمومة<sup>1</sup>

### عدن في تاريخ البيحاني :

وردت كلمة عدن المدينة في كتاب البيحاني في المتن الشعري في حوالي ثمانية وأربعين (48) صفحة، ابتداء من عهد الرسول محمد ع حتى فترة الاستعمار البريطاني، وفي خاتمة المنظومة تلك الأبيات التي ختم بها البيحاني منظومته الشعرية في الجزئين الأول، والثاني ذكرت عدن في الجزء الأول من كتابه في عهد الرسول ﷺ وفي خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، والمرة الثالثة في سياق كلامه الشعري عن خلافة عمر بن عبد العزيز، وفي إطار ذكره لأمراء الرسول وعمالة في البلدان الأخرى يذكر البيحاني أن علي بن أبي طالب مر بعدن وخطب وصلى بها الجمعة إذ تولى العمالة وجباية الأموال في الزكاة والجزية جماعة من فضلاء الأمة والصحابة رضي الله عنهم من أمثال علي بن أبي طالب والمهاجر بن أبي أمية وخالد بن الوليد وأبان بن سعيد وفي هذا يقول<sup>2</sup>:

وإن من عماله في اليمن عليا الداخلى ثغر عدن  
مهاجر وخالد بن الوليد ومن هم أيضاً أبان بن سعد

وحيثما عقد أبو بكر الصديق الحزم لمحاربة المرتدين من أتباع الأسود العنسي، وسلم راية اللواء للمهاجر بن أبي أمية الذي توجه لليمن اضطربت الأحوال في المناطق اليمنية ومنها عدن:

واضطربت أحوال أهل اليمن ما بين نجران وبين عدن<sup>3</sup>

وذكر البيحاني عدن في سياق تفصيله لتاريخ الأمة في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، وعن بنائه مسجد في عدن من ثمن العنبر:

والقطعة العنبر ذات الثمن بنى بها مسجده في عدن<sup>4</sup>

يقول البيحاني في تفسير هذا البيت " يذكر أن أهل عدن وجدوا بساحلهم قطعة عنبر كبيرة جدا، واختلف علماءهم في أمرها هل يؤخذ منها الخمس

<sup>1</sup> ص 334 ، 335.

<sup>2</sup> ص 156.

<sup>3</sup> ص 156.

<sup>4</sup> ص 293.



كما يؤخذ من الركاز والفيء والغنيمة، أم هي كلها لبيت المال أو لمن وجدها، فكتبوا إلى عمر وهو يومئذ أمير على المدينة فأشار عليهم أو الزمهم ببيعها، وأن يعمرها بثمانها مسجد الجامع، وفعلوا ذلك وبنوا مائة ذراع في مائة ذراع مع هذا مما يضاف إلى تاريخه رحمه الله ولعل هذا المسجد هو الذي جدد بناءه حسين بن سلامة الحبشي من موالى آل زياد في آخر القرن الرابع عشر ثم جدد بناءه السلطان عامر بن الطاهري في آخر القرن التاسع أو العاشر، وتخرّب هذا المسجد وبعد الاحتلال الإنجليزي تصرف فيه وبنى على مكانه دار الحكمة المدني ثم إدارة البريد، ومنارة المسجد لا تزال قائمة ويتعهدون بالترميم ويحافظون عليها كأثر من آثار البلاد.....<sup>1</sup>، ولا أعرف لماذا اكتفى البيحاني في هذا الجزء بهذه المعلومات القليلة في حين أن كتباً كثيرة تتحدث عن عدن منذ أزمان بعيدة ؟ أما في الجزء الثاني من الكتاب فقد وردت كلمة عدن في أربعة وأربعين صفحة وفي بعض الصفحات القليلة وردت عدن حوالي مرتين بدءاً من دولة بني زياد ومواليهم، وبنو زياد في اليمن كان أولهم محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن زياد بن أبيه الثقفي أو أبي سفيان الأموي كان في جماعة من المأمون سنة 199<sup>2</sup>. وقال فيها وهو يتكلم عن دخول بني زياد عدة مناطق ومنها عدن:

دانّت له صنعاء وأرض بيحان وأرض صنعاء وأرض نجران  
وعدن وأبين ولحجج وزاد دخله وقل الخرج<sup>3</sup>

وعن ما عمله حسين ابن سلامة في عهد بني زياد يقول :

وبين عدن وبين مكة أنشأ ما يلزم عند السكة<sup>4</sup>  
ويذكر البيحاني في تاريخ آل نجاح دخول جياش بن نجاح إلى عدن ليستطلع أخبار اليمن:  
وحينما جاء إلى ثغر عدن سار ليستطلع أخبار اليمن  
بنفسه سار إلى ذي جباله وعنده تفصيلها والجملة<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ص 293.

<sup>2</sup> ص 149.

<sup>3</sup> الجزء الثاني ص 5.

<sup>4</sup> الجزء الثاني ص 7.

**ويقول عن بني معن :**

ولبني معن ملوك عدن وحضرموت وبلاد أبين  
مملكة تحت الصليحيين سياسة لا مذهباً وديننا<sup>2</sup>

يقول البيهاني "بنو معن قبيلة يمنية قال ابن خلدون: من ذرية معن بن زايد وأظنه غير صحيح تملكوا عدن وأبين ولحج والشحر، وحضرموت وابتدأ أمرهم وتغلبهم في حدود سنة 410 هـ، بعد وفاة الحسين بن سلامة وفي أيام مولاه رجال الحبشي،....<sup>3</sup>

**ويقول في مقطع آخر :**

ثم استقل سبأ بالحكم ممتعاً في عدن بالسلم<sup>4</sup>

ويؤكد البيهاني ان ولد المهدي بن علي في عهد دولة بني المهدي قام بعد والده المؤسس لهذه الدولة، ثم قام أخوه عبد النبي الذي طوع غور البلاد ونجدها وجبلها، وتهامتها، واستولى على جميع حصونها حتى قيل انها وجدت عنده خزائن خمسة وعشرين ملكاً، وعلى الرغم من قوته، فإنه حاول الدخول إلى عدن ولم يقدر على ذلك، وقف أمامه الزريعي عمران بن محمد، واستعان بالشيخ علي بن حاتم الياامي الهمداني فرجع عبد النبي مدحوراً عن عدن وقيل صالحوه على إتاوة سنوية يدفعونها إليه فقبل.<sup>5</sup> " ولم تكن عدن سهلة المنال كما يبدو من التاريخ، فالصليحي عندما حاول أن يظهر دعوته، وقد ظهر أمره، وحقق انتصاراته وانتشرت دعوته، واستولى على مكة وإن من غريب ما روي عن الطاعة له " أن الأرض تفتح أبوابها بين يديه كلما توجه منها إلى جهة انه كان يوم الجمعة يخطب على منبر الجند، ويقول اليوم هاهنا والجمعة القادمة في عدن إن شاء الله ولم يكن قد فتحها فقال رجل يستبعد هذا الكلام ويعده من المستحيل، سبوح قدوس، فسمعه وأمر بالقبض عليه وسار به معه حتى فتح عدن وخطب فيها كما وعد، فقال الرجل متعجباً ومسلماً للواقع : سبوحان قدوسان

<sup>1</sup> نفسه، ص 24 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 28 ، 29.

<sup>3</sup> نفسه، ص 29.

<sup>4</sup> نفسه، ص 32.

<sup>5</sup> نفسه، ص 43.

يا مولاي وهذا دليل على أن عدن كانت عصية على من يريد أن يدخلها ففى قول الرجل وقتذاك ما يوحي باستحالة الدخول إليها وأن حصل ذلك فهو يخالف المعتقد:

وقال يوما فوق منبر الجند مقالته فيها خلاف المعتقد  
اليوم ها هنا ومثل اليوم في عدن سوف يكون قومي  
وقال بعض الناس هذا مجنون مستسلم لوهمه وللظنون  
فحقق الأمر وصلى الجمعة في عدن على جناح السرعة<sup>1</sup>

وعن عدن في ظل دولة بني ايوب في اليمن قال البيهاني:

والزنجبيلي جعلوه في عدن وظن أنها سوف تصيح الوطن  
فجدد الأسوار وابتناها وجمع الأموال وقتناها<sup>2</sup>

وعن فرار الزنجبيلي من عدن يقول :

والزنجبيلي فرب الأموال وفرب بالأهل وبالعيال  
من عدن في سفن مغامرة خوفا من الفشل أو المصادرة<sup>3</sup>

ولما عرف الزنجبيلي بقدوم طغتكين أخو طوران شاه في قوة إلى اليمن عام 579هـ خاف أن يحصل له ما حصل لغيره فتمثل بما قيل:

من حلقت لحيه جار له فليسكب الماء على لحيته<sup>4</sup>

وذكرت عدن في عهد بني رسول الغساني وفي عهد الملوك بعد المظفر وهو يقول عنها في ذلك:

وجاءه علي بن الجارية داهية تسير خلف داهية

<sup>1</sup> نفسه، ص46.

<sup>2</sup> ص57.

<sup>3</sup> ص61.

<sup>4</sup> ص61.

وظل في كروفر يقدم وتارة عن عدن ينهزم  
وعام أربع وستين قضى حياته في عدن ثم مضى<sup>1</sup>

وعن دولة بني طاهر يقول:

وحينما سلم أمر البلاد مسعودها جاءوا إلى المؤيد  
ودخلوا عليه وهو في عدن وتم لابن طاهر حكم اليمن  
فلقبوا عليها المجاهدا لما رأوا في يده المقالدا  
أما أخوه عامر بن طاهر فلقبوا بالمليك الظافر  
وطردوا من عدن جيشا نأىب مسعود الذي تلاشا<sup>2</sup>

ويقول في أبيات أخرى:

وأبن أبي دجانة في السفن جاء من الشحر لثغر عدن  
يزيد فتحها وكانت تسعا ورد عنها خائباً في المسعى<sup>3</sup>

ويقول في بقية من تاريخ بني طاهر:

فأرسل الغوري بالشراكسة جيش له يعرف بالمشاكسة  
وهم يطاردون جيش البرتغال والبرتغاليون ييغون المحال  
من نصرة الأحباش أهل الكفر وحاربونا في شواطئ البحر  
في عدن وفي المخاء وانقلبوا بخيبة الأمل حيث ذهبوا<sup>4</sup>

ولم يغب عن عقل البيحاني ذكره للعلماء والعباد فيما قبل الألف سنة  
الهجرية، ومنهم الشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل الذي زار عدن.

<sup>1</sup> ص 116.

<sup>2</sup> ص 131.

<sup>3</sup> نفسه ص 132.

<sup>4</sup> ص 143 ، 144.



التداخل النسقي المعرفي بين الوعي بالشعري والوعي بالتاريخي ..... د. أحمد السليمانى

ومنهم الشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل الذي زار عدن

وها هنا نأتيك بالملوب من ذكر بعض سادة الجنوب

فالشافعي كان قد زار اليمن وأحمد بن حنبل زار عدن<sup>1</sup>

**ويقول كذلك:**

كالعدي محمد بن يحيى وكان قاضيا بتلك الأحيا

وغير هؤلاء قوم تترى في عدن وفي البلاد الأخرى

أما في الهامش فيقول "و من الذين زاروا اليمن وتجولوا في أقطارها ونزلوا بديارها تارة وبعدن وتارة بصنعاء الإمام ابو عمرو بن العلاء التميمي أحد القراء السبعة....."<sup>2</sup>

**ويذكر البيهاني دور عدن العلمي القديم فيقول:**

ولابن عبد ربه قدر سامي يعرفه النجدي والتهامي

والعلماء البارزون في اليمن قد أخذوا عليه وهو في عدن<sup>3</sup>

**ويقول عن تلاميذ بن عبد ربه:**

أما التلاميذ فكانوا جملة له بني السفال أوذي جبلة

ولده الطاهر وابن عمه وأخرون انتفعوا بعلمه

وطاهر كان ابنه محمد في عدن يقضي ونعم الولد<sup>4</sup>

**ويقول عن مساجد عدن:**

وترجم القاضي ابو مخرمه لجملة من أهل هذي الجهة

<sup>1</sup> ص 153.

<sup>2</sup> ص 158.

<sup>3</sup> ص 161.

<sup>4</sup> ص 163.

وذكر المساجد المعمورة في ثغر عدن مع المهجورة<sup>1</sup>

ويقول:

وأسأل الله عظيم المنن تسهيل جميع عظماء عدن<sup>2</sup>

وعديدة هي الموضوعات التي تحدث عنها البيحاني، ولـ"عدن" فيها ذكر منذ حكم العثمانيين، فهذا الأرنؤوخي يقود قوة من السويس لاحتلال عدن لكي تتعزز قوة اليمن، وعدن في القرن الحادي عشر أيام حكم الحسين اليافع في أثناء حكمه على لحج وثرعدن ونجد البيحاني دائماً ما يربط كلمة ثغر بـعدن ويدعوها ثغر عدن، وعدن في ظل أحمد بن القاسم المتوكل، وعدن في أثناء حكم آل حميد الدين في اليمن وفي أثناء الحرب بين بني سعود والإمام، وعدن قبل دخول الإنجليز لاحتلالها، وكيف أن إبراهيم باشا في اليمن لم يكن يهمله إلا عدن، وعدن ما بعد الاحتلال، وهي مستعمرة بريطانية ولا ينسى البيحاني عدن في خاتمة المنظومة، وهي خاتمة شعرية أراد بها أن يبلور كثيراً من مشاعره، وطموحاته وآماله التي يتوخاها من وراء تأليفه لهذه المنظومة. أختتم حديثه بعرض بعض أبياتها التي تتحدث عن الكتاب:

وإن أردت جمعـه في جملة فهـاك (تاريخاً صحيحاً كله)

جمعت فيها ما رووا من الصحيح ونظمها من البليغ والفضيح

أبياتها من الألوف أربعة وأنها لسهلة ممتنعه

ثم ثلاثمئة تقريباً تطعم حلوا ونشم طيباً

حافظها يعد في أقرانه محترماً معظماً في شأنه

وهي هديّة إلى أولادي في كل شامخ وكل وادي

وبالأخص الناشئين في الوطن من عدن إلى نهاية اليمن<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ص 175.

<sup>2</sup> ص 176.

<sup>3</sup> ص 493 ، 494.

